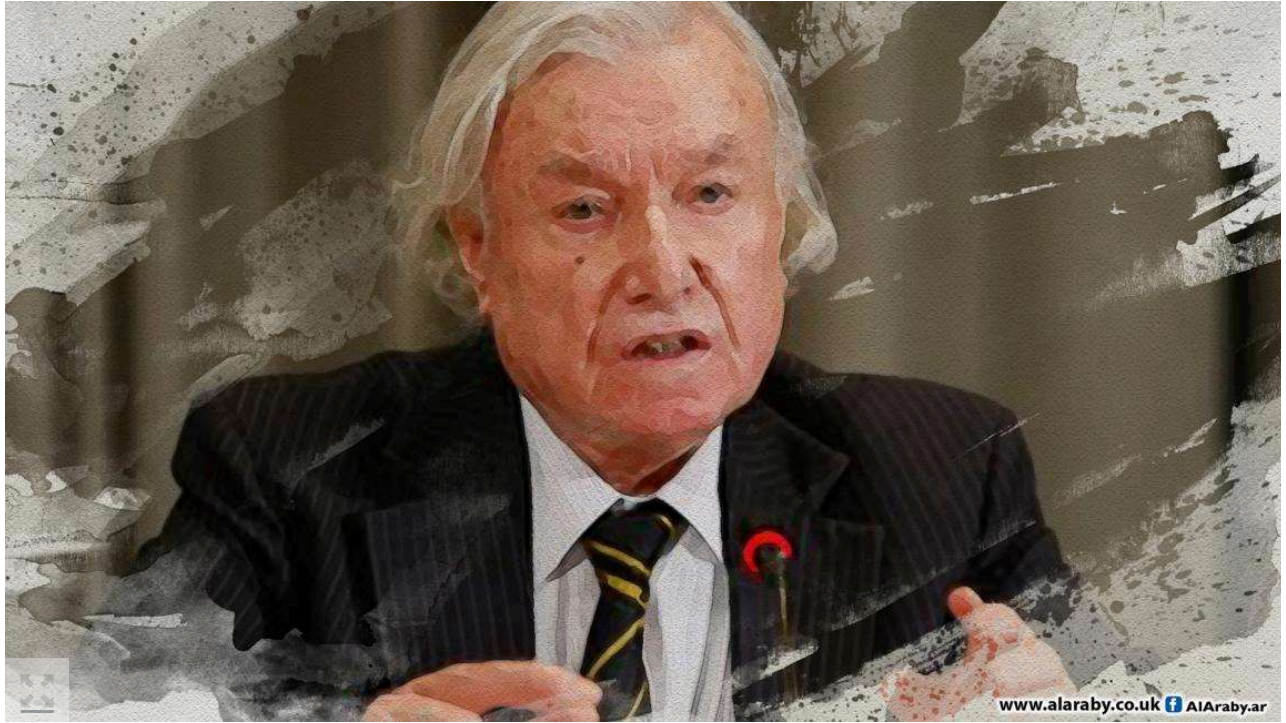


وليد الخالدي ... المؤرّخ الصارم وصانع الأفكار وباني المؤسسات

آراء صقر أبو فخر



19 يونيو 2023



وليد الخالدي أحد أبرز أعلام الأسرة الخالدية في القدس، بل لعله أشهرهم جميعاً، ولا سيما الذين لمعوا منذ النصف الثاني من القرن العشرين. ومكانته مؤرخاً ومفكراً لا تضاهى؛ فهو مرجع في القضية الفلسطينية، وباحث كبير في تاريخها المعاصر، وباني أحد صروح البحث العلمي الفلسطيني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية. وقد لمع من بين رجال هذه العائلة المقدسية أعلام كبار، أمثال يوسف ضيا الخالدي أول رئيس لبلدية القدس، وكان في الوقت نفسه نائباً عن متصرفية القدس في البرلمان العثماني؛ وياسين الخالدي ثاني رئيس للبلدية بعد شقيقه يوسف ضيا؛ ومحمد روجي الخالدي صاحب مخطوطة "السيونيزم" (1913) التي حققها ونشرها وليد الخالدي في سنة 2021 ولاقت تحفظات علمية؛ وراغب الخالدي؛ وحسين فخري الخالدي رئيس وزراء الأردن أيضاً؛ وأحمد سامح الخالدي رائد التربية والتعليم ومدير الكلية العربية في القدس ووالد صاحب هذه

القدس، ويطاهر امام الناس بتنفيذ الامر، إلى ان انتهت الحرب ودشفت الحفائق. وفي دير الروم في القدس يجد الزائر اليوم صورة زيتية كبيرة لمحمد علي الخالدي معلقة قبالة مكتب البطريك اعترافاً بفضلله.

أبصر وُلِد الخالدي النور في القدس في 16/7/1925، وأمضى في أحيائها وشوارعها شطراً من طفولته الأولى. وتلقّى تعليمه الابتدائي في مدرسة الفرندز في رام الله، ثم انتقل إلى المدرسة الإنجيلية في القدس حيث أنهى تعليمه الثانوي. وفي 1945 حاز البكالوريوس من جامعة لندن متخصصاً في التاريخ الإغريقي والروماني واللغة اللاتينية.

التأثير الأكبر في الخالدي كان للحياة السياسية في فلسطين التي تعقّدت بالثورات الوطنية وبالقمع البريطاني وبالإرهاب الصهيوني معًا

خضع لمؤثرين أسهموا في تكوينه الفكري والعلمي: التأثير العربي – الإسلامي الذي كان لوالده أحمد سامح ولجده راغب الخالدي مؤسس المكتبة الخالدية في القدس أثر ملموس في ذلك، ثم التأثير العلمي الغربي الذي تلقاه على يدي جيروم فاريل الأستاذ في جامعة كيمبردج الذي كان مديراً للتربية والتعليم في فلسطين إبّان الانتداب البريطاني. أما التأثير الأكبر فكان للحياة السياسية في فلسطين التي تعمّدت بالثورات الوطنية وبالقمع البريطاني وبالإرهاب الصهيوني معاً. ومن مفارقات تلك الفترة، أي في أوائل أربعينيات القرن العشرين، أن وليد الخالدي بدأ يكتب الشعر بالإنكليزية وينشر قصائده في مجلة Fourm المقدسية، ويترجم من اللاتينية إلى الإنكليزية مقاطع من الإنيادة لفيرجيل. ثم نشر أولى مقالاته بالإنكليزية في 1943 في صحيفة Eastern Times الصادرة في بيروت، وفيها نقد للسياسة البريطانية المساندة للصهيونية في فلسطين. وفي هذه الأثناء، مارس وليد الخالدي التعليم في "كلية الأمة" في القدس قبل سنة 1945، ثم عمل تحت إدارة ألبرت حوراني في "المكتب العربي" في القدس، فأعد أوراق الدعوى الفلسطينية التي عُرضت أمام لجنة التحقيق الأنكلو – أميركية في 1946.

تزوج وليد الخالدي في سنة 1945 رشا سلام ابنة سليم علي سلام (أبو علي) وشقيقة صائب ومالك وعلي وعبد الله ومصباح سلام، وانتقلت زوجته إلى العيش معه في فلسطين. وكانت شقيقتها عنبرة سلام متزوجة والده أحمد سامح بعد وفاة زوجته الأولى السيدة إحسان عقل والدة وليد. وفي 1946، قرّر الزوجان الانتقال إلى بيروت، حيث عمل الزوج أستاذًا في كلية المقاصد، وكان، في الوقت نفسه، ناشطًا في الهيئة العربية العليا التي كان يرئسها الحاج أمين الحسيني. وكان حسين فخري الخالدي يشغل موقع الأمين العام لهذه الهيئة، فعمل وليد الخالدي سكرتيرًا خاصًا له. وفي حوادث عام 1958 في بيروت، أصيب بجروح طفيفة في إحدى جولات القتال الأهلي. ولم يلبث وليد الخالدي وزوجته بعد استتباب الأحوال في لبنان، وانتهاء عهد كميل شمعون، أن انتقلا إلى أوكسفورد حيث تابع دراسته في جامعتها تحت إشراف المستشرق هاملتون غيب. وقد وضع أطروحته عن المتصوفة ونال عليها الماجستير في الآداب في سنة 1951.

بعد نيله الماجستير عمل محاضراً في الدراسات الشرقية في جامعة أوسفورد. وعندما استقال هاملتون غيب في 1955 لينتقل إلى جامعة هارفارد الأميركية، عهد إلى وليد الخالدي تدريس مقرّراته في مادة التاريخ في الجامعة نفسها. لكنه، وعلى الرغم من تجديد الجامعة عقده ست سنوات، استقال من الجامعة في 1956 احتجاجاً على المشاركة البريطانية في العدوان الثلاثي على مصر، وعاد إلى بيروت. وكان من بين أقرب أصدقائه في تلك الفترة كلوفيس مقصود.



وكرس معظم أوقاته لقضية فلسطين، وبالتحديد لقضية اللاجئين؛ ففند المزاعم الصهيونية التي روجت الحكاية التي زعمت أن اللاجئين غادروا بلادهم استجابة لنداء القادة العرب. وفي هذا السياق، كشف خطة دالت Dalet Plan التي وضعها قادة الهاغاناه في 1945 لاحتلال فلسطين وطرد أهلها منها، والتي كانت، في حد ذاتها، تنفيذاً لا يمكن دحضه للادعاءات الصهيونية في شأن مغادرة اللاجئين بلادهم. وفي تلك الفترة، تمكن وليد الخالدي من تحقيق مشروع لتوثيق الأحوال السياسية العربية، فنغذه بالتعاون مع زميله يوسف إيبش (سوري)، وصدر هذا المشروع في صورة مجلة فصلية بعنوان "الوقائع العربية" Chronology of Arab Politics، ثم أصدر كتاباً سنوياً بعنوان "الوثائق السياسية العربية" Arab Political Documents بالعربية والانكليزية.

وفي سنة 1963 أسس وليد الخالدي في بيروت واحداً من أكثر مشاريعه طموحاً، أي "مؤسسة الدراسات الفلسطينية" التي تنكب مع قسطنطين زريق (سوري) وبرهان الدجاني (فلسطيني) عبء بنائها وتطويرها حتى صارت مؤسسة كانت تقف في طليعة مؤسسات البحث العلمي الفلسطيني في العالم العربي، وانتشرت مكاتبها في لندن وباريس وواشنطن ورام الله. وتولى وليد الخالدي أمانة سر اللجنة التنفيذية للمؤسسة حتى سنة 2017، بينما تولى قسطنطين زريق رئاسة مجلس الأمناء حتى ثمانينيات القرن المنصرم. وعمل الاثنان بجهد لا فت على تغذية مكتبة المؤسسة بالكتب والمراجع والوثائق والصور والتقارير حتى باتت تعد أكبر مكتبة في العالم متخصصة بالقضية الفلسطينية والصراع العربي - الصهيوني، فهي تضم أكثر من 70 ألف كتاب بالعربية والإنكليزية والفرنسية والعبرية، علاوة على أكثر من 200 دورية يعود بعضها إلى أواخر القرن التاسع عشر. هال وليد الخالدي ما حدث في يونيو/ حزيران 1967، وأورثته الهزيمة قدراً كبيراً من التفكير والتأمل، ولا سيما بعد فقدان مدينة القدس وبقية الأراضي الفلسطينية. وانكشفت له الفجوة التكنولوجية بين العرب وإسرائيل التي كانت أحد أسباب الهزيمة. وقاده التفكير في هذه المعضلة إلى تأسيس هيئة علمية لدراسة هذه المشكلة. وتعاون، في هذا الأمر، مع البروفيسور أنطوان زحلان ومع برهان الدجاني، فالتقى الثلاثة الملك حسين في عمان، وأسفر اللقاء عن تأسيس "الجمعية الملكية العلمية" في الأردن في 1968. لكن وليد الخالدي وأنطوان زحلان وبرهان الدجاني اضطروا إلى الانسحاب من هذه الجمعية بعد أحداث سبتمبر/ أيلول 1970. غير أن الجمعية استمرت في عملها. وفي تلك الأثناء، ساهم وليد الخالدي في كتابة خطاب ياسر عرفات الذي ألقاه في الأمم المتحدة في سنة 1974 مع محمود درويش وشفيق الحوت وصلاح الدباغ وغيرهم، وكان له دوي عالمي كبير. وتولت ترجمة الخطاب شقيقته رندة الخالدي وإدوارد سعيد.

ظلت المكتبة الخالدية في القدس هاجس الخالدي الشاغل، فمنحها اهتماماً خاصاً في ثمانينيات القرن العشرين

لم يشغل أي موقع في منظمة التحرير الفلسطينية. ومع ذلك، كان له جهد مهم في شؤون النضال الفلسطيني، اتسم معظمه بعدم الظهور الإعلامي، سيما محاولاته الدؤوبة لتجنيب الفلسطينيين الانخراط في الحرب الأهلية اللبنانية، ورغب في تقريب وجهات النظر بين القيادة الفلسطينية وقادة اليمين اللبناني، فالتقى في 10/6/1975 الأبائي بولس نعمان بعد وساطة من هاني سلام، ثم عاد ليلتقي في 15/6/1975 الأبائي بولس نعمان والأبائي بطرس قزي بحضور ياسر عرفات وصلاح خلف في منزل حبيب صياغ، وكان معه سميح العلمي. لكن الخالدي رأى، مع تفاقم الوضع الأمني، أن الأفضل له أن يجد متسعاً من الوقت لمتابعة مشروعه البحثي، فتعاقد مع جامعة هارفارد للتدريس

استقال في سنة 1982 من الجامعة الأميركية في بيروت، والتحق بجامعة هارفارد التي قدّمت له زمالة أبحاث "جورج شولتز" في كندا. كان له دور كبير في الحياة الفكرية والثقافية في

×

--

للتنمية الثقافية والاجتماعية للشعب الفلسطيني في الشتات وبحث الاحتلال. وفي غمرة مشاغله الكثيرة والمتشعبة، ظلت المكتبة الخالدية في القدس هاجسه الشاغل، فمُنحها اهتماماً خاصاً في ثمانينيات القرن العشرين. وهي تضم أكبر مجموعة فلسطينية خاصة من المخطوطات العربية، علاوة على نحو ستة آلاف كتاب بالعربية والإنكليزية، جمعها أفراد العائلة الخالدية منذ القرن التاسع عشر، إلى جانب مئات الوثائق التي تعود، في معظمها، إلى الحقبة العثمانية.

تقع المكتبة الخالدية على طريق باب السلسلة بالقرب من الحرم القدسي. وكانت خديجة، الجدة الكبرى لوليد الخالدي، أسست هذه المكتبة في سنة 1900 بمساعدة ابنها راغب الخالدي جد وليد الخالدي. وبعد سقوط القدس في يونيو/ حزيران 1967 وقعت المكتبة الخالدية تحت خطر المصادرة الإسرائيلية، أو تحت خطر اعتداء المستوطنين عليها. وبمساعدة أفراد العائلة المقيمين في القدس وفي الشتات، استطاع وليد الخالدي حماية المكتبة باللجوء إلى المحاكم، وإلى بعض الإسرائيليين المتعاطفين مع القضية الفلسطينية. وفي هذا السياق، تمكّن في 1985 من تسجيل "جمعية أصدقاء المكتبة الخالدية في القدس" هيئة خاصة معفاة من الضرائب في ولاية ماساشوستس الأميركية تحت إشراف مجلس أمناء مؤلف في معظمه من آل الخالدي بينهم البروفيسور رشيد الخالدي وطريف الخالدي وبرئاسة وليد مباشرة. وتمكّنت الهيئة من إعادة تجهيز المكتبة وتجديدها وتوسيعها، وتنظيف الكتب والمخطوطات بأفضل الطرق العلمية الحديثة، وتصوير مقتنياتها على الميكروفيلم وتبويب المحتويات كلها.

لم يتوقّف وليد الخالدي عن الكفاح بعد تقاعده من جامعة هارفارد؛ فاستمرّ حتى 2017 يشرف من بوسطن، حيث يقيم، على الشؤون اليومية لمؤسسة الدراسات الفلسطينية

في سنة 1995، بعد التصديق على القانون الأميركي في شأن نقل السفارة الأميركية من تل أبيب إلى القدس، شرع وليد الخالدي في حملة قانونية للتصدّي لهذا القانون، وياشر مع آخرين، أمثال رشيد الخالدي وعصام النشاشيبي وفيليب مطر، في عملية بحث دقيقة ومضنية في ملفات لجنة التوفيق الخاصة بفلسطين، وفي سجلات وزارة الخارجية الأميركية ومكتب السجلات العامة في لندن، وفي سجل ملكية الأراضي في القدس. وتمكّن، بعد حملة إعلامية وقانونية وسياسية من وقف عملية نقل السفارة إلى القدس بحجة الاعتداء على مالكي الأرض، وبينهم أميركيون من أصل فلسطيني. لكن، مع وصول دونالد ترامب إلى موقع الرئاسة الأميركية في عام 2017، انقلبت الأحوال تماماً. كان لوليد الخالدي شأن مهم في بعض الخيارات السياسية للقيادة الفلسطينية مثل صوغ بيان ياسر عرفات الذي ألقاه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة التي عُقدت استثنائياً في جنيف في عام 1988 كي يتسنى لعرفات إلقاء بيانه بعدما رفض وزير الخارجية الأميركي، جورج شولتز، منحه تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة إلا بعد أن يعلن نبذه الإرهاب والاعتراف بقرار مجلس الأمن 242. ولهذه الغاية، تعاون وليد الخالدي مع حسيب صباغ وباسل عقل ووزير خارجية السويد ستين أندرسون وكولوفيس مقصود. وعلاوة على ذلك، تولى تمثيل فلسطين في الوفد الأردني - الفلسطيني المشترك، لأن التوافق آنذاك استقرّ على أن يكون الفلسطينيون في الوفد المشترك غير أعضاء في منظمة التحرير الفلسطينية. وقد منحه الرئيس محمود عباس وسام نجمة القدس من رتبة الوشاح الأكبر في عام 2015.

لم يتوقّف وليد الخالدي عن الكفاح بعد تقاعده من جامعة هارفارد؛ فاستمرّ حتى سنة 2017 يشرف

عمرهم في النضال السياسي والفكري في سبيل قضية فلسطين وشعب فلسطين. وها هو يخطو نحو
الانتصار في هذه المرحلة... بل تقليل الخسائر.



--

تابع آخر أخبار العربي الجديد عبر Google News



دلالات

إدوارد سعيد

قسطنطين زريق

مؤسسة الدراسات الفلسطينية



صقر أبو فخر

مقالات أخرى

الشعب الفلسطيني الدائع: ليأخذوا الأسرى دفعة واحدة

09 أبريل 2025

لا انتصارات في هذه المرحلة... بل تقليل الخسائر

20 مارس 2025

على أبواب المؤتمر الوطني الفلسطيني

14 فبراير 2025

عاجل ١٦ مراسل العربي الجديد: الطيران الأميركي يشن 4 غارات على مديرية سحر بمحافظة صعدة شمالي اليمن



الأكثر تفاعلا



محمد أبو رمان

الدولة والإسلاميون في الأردن... المنعرج والفرصة

27 أبريل 2025



لميس أندوني

الشيعة ليست شعرا فلسطينيا وحدويا

27 أبريل 2025



سلام الكواكبي

في تكريم أصدقاء الثورة السورية

27 أبريل 2025



صلاح الدين الجورشي

عندما تقرب السلطة في تونس استأصل المعارضة

27 أبريل 2025



مضر رياض الدبسي

واقع الديمقراطية في سورية الجديدة

27 أبريل 2025



الوليد آدم مادبو

مرافعة من أجل عدالة انتقالية سودانية

27 أبريل 2025



اشترك الآن في النشرة البريدية ليصلك كل جديد

البريد الإلكتروني



--